

بحار الأنوار

[266] والفرس لا يشتكي قولا، لكنه ظهر منه علامة الخوف والجزع، فسمى ذلك قولا. ومنه

قول الآخر: وشكى إلي جملي طول السرى. (1) والجمل لا يتكلم، لكنه لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق والكلام، ومنه قولهم أيضا: امتلا الحوض وقال قطني (2) * حسبك مني قد ملات بطني. والحوض لم يقل قطني، لكنه لما امتلا بالماء عبر عنه بأنه قال: حسبي، ولذلك أمثال كثيرة في منثور كلام العرب ومنظومه، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية وإِنّ تعالى نسأل التوفيق. فصل: فأما الخبر أن إِبْنِ تَعَالَى خَلَقَ الْإِرْوَاحَ قَبْلَ الْجَسَادِ بِأَلْفِي عَامٍ فَهُوَ مِنْ أَخْبَارِ الْآحَادِ، وَقَدْ رَوَتْهُ الْعَامَّةُ كَمَا رَوَتْهُ الْخَاصَّةُ، وَلَيْسَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْطَعُ عَلَى إِبْنِ تَعَالَى بِصِحَّتِهِ، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ رَوَاتُهُ لِحَسَنِ الظَّنِّ بِهِ، وَإِنْ ثَبَتَ الْقَوْلُ فَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّ إِبْنِ تَعَالَى قَدَرَ الْإِرْوَاحَ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ اخْتِرَاعِ الْجَسَادِ، وَاخْتَرَعَ الْجَسَادَ وَاخْتَرَعَ لَهَا الْإِرْوَاحَ فَالْخَلْقُ لِلْإِرْوَاحِ قَبْلَ الْجَسَادِ خَلْقٌ تَقْدِيرٌ فِي الْعِلْمِ كَمَا قَدَمْنَاهُ، وَلَيْسَ بِخَلْقٍ لِدَوَاتِهَا كَمَا وَصَفْنَاهُ، وَالْخَلْقُ لَهَا بِالْأَحْدَادِ وَالْإخْتِرَاعُ بَعْدَ خَلْقِ الْأَشْجَامِ، وَالصُّورُ الَّتِي تَدِيرُهَا الْإِرْوَاحُ، وَلَوْلَا أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَكَانَتْ الْإِرْوَاحُ تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى آلَاتٍ يَعْتَمِلُهَا، وَلَكِنَّا نَعْرِفُ مَا سَلَفَ لَنَا مِنَ الْأَحْوَالِ قَبْلَ خَلْقِ الْجَسَادِ، كَمَا نَعْلَمُ أَحْوَالَنا بَعْدَ خَلْقِ الْجَسَادِ، وَهَذَا مُحَالٌ لَا خِفَاءَ بِفَسَادِهِ. وَأَمَّا الْحَدِيثُ بِأَنَّ الْإِرْوَاحَ جَنُودَ مَجْنَدَةٍ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا إِئْتَلَفٌ، وَمَا تَنَاقَرَ مِنْهَا إِئْتَلَفٌ، فَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّ الْإِرْوَاحَ الَّتِي هِيَ الْجَوَاهِرُ الْبَسَائِطُ تَتَنَاصَرُ بِالْجِنْسِ وَتَتَخَاذَلُ بِالْعَوَارِضِ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا بِاتِّفَاقِ الرَّأْيِ وَالْهَوَى إِئْتَلَفٌ، وَمَا تَنَاقَرَ مِنْهَا

(1) بضم السين: سير الليل. (2) أي حسبي.